لا يتطرق اليهما التغير والتبدل لم تكن التكاليف مفيدة فان من كتب مقعده من الجنة لا يزحزحه
عن مقعده كفر وفسوق ومن قدر له مقعده من النار لا يخلصه عنه ايمانه وخلوصه وهو
المراد بقولهم ففيم العمل وبقولهم اذا لنتكل على كتابنا يعني اذا دبر الله تع امر العباد قبل
وجودهم وقدر لكل احد مقعدا من الجنة او النار لم يكن للعمل فائدة اذا نتكل على ما كتب
خيرا كان او شرا فان العمل الصالح لا ينفع اذا كتب العبد في الازل شقيا والعمل السيئ لا يضر اذا كتب
العبد في الازل سعيدا وهو حجة للجبرية المانعين للتكليف فاجاب عليه السلام عن مقالتهم ورفع
شبهتهم بان امرهم بالعمل انما امر وابه ونهوا عنه فكانه قيل اعملوا بظاهر ما امرتم به واما كون
ذلك العمل موافقا لما في الكتاب او غير موافق فلستم منه على شيء بل كل ميسر لما خلق له وقدر
بقوله اما اذا كان من اهل السعادة يعني اي من الازل فيتاكب فسيصير العمل السعادة في مدة حيوته
والسين للاستقبال بالنظر الى اول الكتاب وكذا قوله واما من كان من اهل الشقاوة الخ وتو
ضيحه انه تعالى رتب الاشياء في الازل على ما شاء وربط بعضها ببعض وجعلها اسبابا ومسببات
وانه كان يقدر على ايجاد الجميع ابتداء بلا واسطة كما خلق الاسباب لكنه اراد اقتضته حكمته
وجرت عليه عادته فمن قدر انه من اهل الجنة قدر له ما يقربه اليها من الاعمال ووفقه لذلك
باقداره عليه وحرضه عليه بالترغيب والترهيب والان قلبه لقبول الحق ومن قدر انه
من اهل النار قدر له خلاف ذلك فاتى باعمال اهل النار عليها حتى طوى عليه صحيفة عمره وهذا
معنى قوله فكل ميسر لما خلق له وقولهم اذا نتكل على كتابنا اي اذا نحتمد على كتب لنا في الازل
تارك العمل اراد وابذلك تعطيل العبودية فاعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم ان ههنا امرين
لا يبطل احدهما الاخر باطن هو العلة الموجبة في حكم الربوبية وظاهر هو السمة الدالة
في حق العبودية ولعلهم انما عوملوا بهذه المعاملة بتعلق خوفهم بالباطن ورجاؤهم بالظاهر
ونظير الرزق المضمون مع الامر بالكسب والاجل المقدر مع المعالجة بالطب فانك تجد
الباطن الغيب منها علة موجبة والظاهر سببا مخيلة وقد اتفقوا على ان الظاهر منها لا يترك
للباطن وهذا مقام تسلك عليه العبوات وهذا اقبل سبيل معرفة هذا الباب هو التوقيف من الكتاب
والسنة فمن عدل عن دليل السمع والجأ فيه العقل ضل وتاه لان القدر سر من اسرار الله تع
ضربت دونه الاستار وطوي علمه عن العالم فلم يكشف لاحد من نبي ولا ملك مقرب وقيل
ان سر القدر انما لم يكشف للخلق ليقاد اهل الجنة ولا يكشف لهم قبل دخولها الى ههنا كلام

كلام شارح المشارق ولا تقدير لما احرم الله تع ولا تاخير لما قدمه الله
تع ولا تعطيل لما احكمه الله ولا نقض لما ابرمه قال في صحاح المختار ابرمه اعله
واصحكم وابرم الشيء احكمه انتهى ولا نقض لما احكمه وكذلك المذكور بعده اي يقضا
الله تع وحكمه وهذا اشارة الى ان ما يجري في الملك والملكوك لا يجري الا بقضاء الله وقدره
وباراده ومشيته فان الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر
والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان كلها بقضاء الله تع واراده
لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسئل عما يفعل وهو يسئلون
وفيه رد للمعتزلة القائلين بان الله تع لا يريد الشر ولا يقدره ولا يقضيه حتى الجزر
بالزاء المعجمة يعني ان كل ما ذكر كائن بقدر الله تع منتهيا كونه الى الجزر والكيس وهو
بوزن الكيل خلاف الحمق ههنا وهذا اشارة الى معنى حديث رواه عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شيء بقدر حتى الجزر والكيس والمعنى ان افعال العباد
كلها بتقدير الله تع حتى الجزر الذي يؤخر صاحبه عن درك البغية والكيس الذي يوصله اليها
فلا ينبغي ان يعاب العاجز بالعجز ولا ان تسند الكياسة الى قدرة الكيس فان ذلك بتقدير الله
تعالى وخلقه لا حول ولا قوة الا بالله كذا في شرح المصابيح لابن ملك قال الشارح
واعلم ان حتى ههنا يجوز ان تكون حرف جر بمعنى الى ويجوز ان تكون حرف عطف فكل
من الجزر وما بعده يكون مرفوعا معطوفا على المبتداء او على ضمير المستكن في الظرف
للفصل بينهما بالظرف لتاخره عن الضمير رتبة لكونه منقولا الى الظرف عن عامله المتقدم
او مجرورا معطوفا على ذلك في كل ذلك ويجوز ان يكون حرف ابتداء فما بعده مبتدا محذوف
الخبر اي كل بقدر حتى الجزر وغيره ثم ما بعده كذلك قال الله تع انا كل شيء خلقناه
بقدر هذا خلاصة ما ذكر في شروح المصابيح الى ههنا كلام الشارح والخلق بضم الخاء
المعجمة واحد الاخلاق والخلق بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام الصورة والشكل كما
في قوله تع ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه والوزن قال في مختار الصحاح الوزن
ما ينتفع به والمعجم الارزاق والخير والشر اي وكذلك الخير والشر بقدر الله تعالى
وخلقه قال تع ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها
ان ذلك على الله يسير وقوله تع ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)